

الرَّبَاعِيّ المَضَاعِفِ وَالثَّلَاثِيّ المَضَعَفِ

بَحْثٌ فِي اشْتِقَاقِهِمَا، وَمَذَاهِبِ الْأُثْمَةِ فِيهِمَا، وَاحْصَائِهِمَا

يحيى مير علم

تواجه الباحث في المعاجم ظواهر لغوية عديدة ، بعضها من الأهمية بمكان ، مع أن كلمة الفصل لم تنقل فيه حتى يومنا هذا ، وأكثر ما تعترض تلك الظواهر من يأخذ على عاتقه القيام بدراسات احصائية لغوية ، وقد سبق لي أن عانيت شيئاً من هذا في دراسة احصائية معجمية (١) ، لذا يمكن القول : ان من أوضح تلك الظواهر وأهمها ما تشتمل عليه المعاجم من جذور رباعية مضاعفة وثلاثية مضعّفة • وأحسب أن الوقوف عند هذه الظاهرة وامعان النظر فيها يفيدان في الكشف عن ماهية الصلة بينهما ، ودلالات أمثلة كل منهما ومعانيه ، وتعليل اختصاص الرباعي المضاعف بأحكام خاصة ينفرد بها دون غيره من الجذور ، وسيأتي بيان ذلك مفصلاً في موضعه من هذا البحث •

اصطلحتُ بدءاً على تسمية ما ضُعِفَ ثانيه من الأفعال بالثلاثي المضعّف نحو : مدّ ، عدّ ، سدّ ، وتسمية ما كرّر حرفاه الأول والثاني بالرباعي المضاعف نحو : جلجل ، رقرق دمدّم • وذلك لأن تسمية المتقدمين لهذين النوعين من الأفعال جاءت مختلفة ، وكذلك الحال في تصنيف أصحاب المعاجم لهما ، فقد دعاهما الخليل بن أحمد بالثلاثي المثلثل وبالمضاعف الحكاية (٢) ، ودعاهما ابن دريد بالثنائي الصحيح وبالرباعي المكرّر (٣) ، وخصّ كلا منهما بباب جمع فيه ما كان منه في اللغة مما انتهى إليه ، واستهل معجمه بالأول منهما ثم أتبعه بالثاني • ونبهتهما سيبويه بمضاعف بنات الثلاثة وبمضاعف بنات الأربعة (٤) وقريب منه نعت ابن جني لهما بمضاعف الثلاثة وبمضاعف الأربعة (٥) ، وسماهما ابن فارس المضاعف والمطابق ، فالأول للثنائي الذي ضُغِفَ حرفه الثاني ، والثاني لما تضاعف من الكلام مرتين ، وقد فسّره بقوله : « • • وطابقت بين الشيتين إذا جعلتهما على حذو واحد » ، ولذلك سمّيناهما تضاعف من الكلام مرتين مطابقتاً مثل :

جرجر وصلصل (٦) . أما الأزهري في « تهذيب اللغة » وابن سيده في « المحكم » فقد أوردوا المضعف والمضاعف ضمن أبواب المضاعف في ائتلاف كل من الحروف مع غيره المضعف أولا ثم المضاعف ، والتزم الجوهري في « الصحاح » - وتبعه ابن منظور في « لسان العرب » - بإيراد الرباعي المضاعف ضمن الثلاثي المضعف ان كان الأخير مستعملا ، وأفردا من الرباعي المضاعف ما لم يستعمل منه ثلاثي مضعف ، واستثنى الفيروز آبادي بابن منظور فصنّفه قريبا منه في « القاموس المحيط » على هئات له فيه (٧) . ثم جاء المحدثون فورثوا هذا التباين في التسمية ، فدعاها بعضهم بالمضعف الثلاثي وبالمضعف الرباعي (٨) ، وفرّق بعضهم بينهما فجعل الأول مضعفاً ثلاثياً والثاني مضاعفاً رباعياً (٩) ، وهو ما ارتأيته في دراستي المذكورة صدر هذا البحث .

مضت الإشارة الى أن الجذور الرباعية المضاعفة تختص بأحكام تنفرد بها دون غيرها من الجذور ، لذا فقد أجازوا في بنائها من تأليف الحروف جميع ما جاء من الصحيح والمعتل ، ومن الذلق والشفوية والصّتم ، وترخصوا في نسج حروفها ما لم يترخصوا به في نسج حروف غيرها من الجذور ، قال صاحب « العين » في حديثها وبيان كنهها وما لها من أحكام خاصة بها : « والمضاعف في البيان ما كان حرفاً عجزه مثل حرفي صدره ، وذلك بناء يستحسنه العرب ، فيجوز فيه من تأليف الحروف جميع ما جاء من الصحيح والمعتل ، ومن الذلق والشفوية والصّتم ، وينسب الى الثنائي لأنه يضاعفه ، ألا ترى الحكاية أن الحاكي يحكي صلصلة اللجام فيقول : صلصل اللجام ، وإن شاء قال : صل . صل . صل . مخففة مرة اكتفاء بها ، وإن شاء أعادها مرتين أو أكثر من ذلك ، فيقول : صل . صل . صل . يتكلف من ذلك ما بدا له .

ويجوز في الحكاية المضاعفة ما لا يجوز في غيرها من تأليف الحروف ، ألا ترى أن الضاد والكاف إذا ألقتا فبدىء بالضاد فقليل : ضك . كان تأليفاً لم يحصل في أبنية الأسماء والأفعال الا مفصولاً بين حرفيه بحرف لازم أو أكثر من ذلك نحو الضنك والضحك ، وأشبه ذلك ، وهو جائز في المضاعف ، نحو : الضكضاكة من النساء ، فالمضاعف جائز فيه كل غث وسمين من المفصول والاعجاز والصدور وغير ذلك (١٠) . ومثله ما ذكره ابن جني قال : « فأما قولهم : حأحات بالكبش اذا دعوته فقلت : حوحو . وهأهأت بالابل اذا قلت لها : هاها . فانما احتمل فيه تأخير الهمزة عن الحاء والهاء لأجل التضعيف ، فانه يجوز فيه ما لا يجوز في غيره (١١) » .

□ اشتقاق الرباعي المضاعف ومذاهبهم فيه:

والرباعي المضاعف على استحسان العرب له ، وفشوؤه في اللغة ، وترخصهم في أحكام نسجه وبنائه ، فان أصل اشتقاقه ما زال موضع خلف بين أهل اللغة ، ولذا فان أصحاب المعاجم - كما تقدم - لم يلتزموا إيرادها في باب بعينه ، ولكنهم أدرجوا كثيره تحت الثلاثي المضعف اما كان له ، وأفردوا قليله الذي لم يستعمل له ثلاثي مضعف بمواد رباعية مستقلة .

لقد فرّق الخليل بن أحمد بين الرباعي المجرد أو المنبسط وبين المضاعف الحكاية ، التي ربما كانت مؤلفة نحو : دهدق ، وربما كانت مضاعفة نحو : صلصل . وظاهر أن المؤلف يوافق حرف صدرها حرف صدر ما ضم اليها في عجزها ، وهو قليل ، وراى أن الرباعي الحكاية بنوعيه : المؤلف والمضاعف بناء مستقل . قال : « لأن الحكايات لا تخلو من أن تكون مؤلفة أو مضاعفة ، فأما المؤلف فعلى ما وصفت لك ، وهو نزر قليل ، وأما الحكاية المضاعفة فإنها بمنزلة الصلصلة والزلزلة . فهم يتوهمون في حس الحركة ما يتوهمون في جرس الحكاية نفسها ، فتدخل في التصريف » (١٢) .

والذي يفهم من كلام سيبويه أيضاً أنه يرى المضاعف بناء مستقلاً خلواً من الزوائد ، مثله مثل مضعّف بنات الثلاثة ، قال : « . . . ولا نعلم في الكلام على مثال فعّلال الا المضاعف من بنات الأربعة ، الذي يكون الحرفان الآخران منه بمنزلة الأولين وليس في حروفه زوائد ، كما أنه ليس في مضاعف بنات الثلاثة نحو : رددت ، زيادة ، ويكون في الاسم والصفة ، فالاسم نحو : الزلزال ، والجثجاث ، والجرجار ، والمرام ، والدهداه . والصفة نحو : الحثاث ، والححقاق ، والصلصال ، والقسقاس ، ولم يلحق به من بنات الثلاثة شيء . . . » (١٣) .

وقد دفع ابن جنى وشيخه أبو علي الفارسي أن يكون الرباعي المضاعف مشتقاً من الثلاثي المضعّف ، وجاءت نظرة ابن جنى في التفريق بينهما صوتية بحقة ، فالحاء بعيدة من الثاء ، ولا يمكن أن تكون في (حثث) (حثث) ثلاثة بدلا من الثاء المتوسطة في (حثث) قال : « فاما قول من قال في قول تأبط شراً :

كانما حثثوا حصاً قوادمه - أو أمّ خشف بني شث وطبّاق

انه أراد : حثثوا . فأبدل من الثاء الوسطى حاء ، فمردود عندنا ، وانما ذهب الى هذا البغداديون وأبو بكر [بن السراج] أيضاً معهم ، فسألت أبا علي عن فساده فقال : العلة في فساده أصل القلب في الحروف ، انما هو فيما تقارب منها ، وذلك الدال والطاء والتاء ، والدال والطاء والثاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون ، وغير ذلك مما تداينت مخارجهم . فاما الحاء فبعيدة من الثاء ، وبينهما تفاوت يمنع من قلب احدهما الى أختها ، قال : وانما حثث أصل رباعي ، وحثث أصل ثلاثي ، وليس واحد منهما من لفظ صاحبه ، الا أن حثث من مضاعف الأربعة ، وحثث من مضاعف الثلاثة ، فلما تضارعا بالتضعيف الذي فيهما اشتبه على بعض الناس أمرهما ، وهذا هو حقيقة مذهبنا ، ألا ترى أن أبا العباس قال في قول عنتره :

جاءت عليه كل بكر ثرة فتركن كل قرارة كالدرهم

ليس ثرة عند النحويين من لفظ ثرثرة ، وان كان من معناها ، هذا هو الصواب وهو قول كافة أصحابنا ، على أن أبا بكر محمد بن السري قد تابع الكوفيين ، وقال في هذا بقولهم ، وانما هذه أصول تقاربت ألفاظها ، وتوافقت معانيها ، وهي مع ذلك مضعّفة ، ونظيرها من

غير التضعيف قولهم : دُمِثَ و دِمِثَر ٠٠٠ وإذا قامت الدلالة على أن حثث ليس من لفظ حثث ، فالقول في هذا وفي جميع ما جاء منه واحد ، وذلك نحو : تململ و تملل ، ورقرق ورقق ، وصرصر وصرر ٠٠٠ « (١٤) » .

كما عرض ابن جنّي الى مسألة تداخل هذين الأصلين في كتابه « الخصائص » خلال مناقشته مذهب أبي إسحاق الزجاج في أصل الرباعي المضاعف ، قال : « ومن الأصلين الثلاثي والرباعي المتداخلين قولهم : قاع قرق وقرقر وقرقوس . وقولهم : سلس وسلسل ، وقلق وقلقل . وذهب أبو إسحاق في نحو : قلقل وصلصل وجرجر وقرقر . الى أنه فعقل ، وأن الكلمة لذلك ثلاثية ٠٠٠ وذهب الى مذهب شاذ غريب في أصل منقاد عجيب ، الا ترى الى كثرته في نحو : زلز وزلزل ٠٠٠ ومنه : صل وصلصل ، وعج وعجج ، ومنه : عين شرّة وشرثارة ٠٠٠ فأرتكب أبو إسحاق مركباً وعرأ وسحب فيه عدداً جمّاً ، وفي هذا اقدام وتعجرف » (١٥) .

ولا يكتفي ابن جنّي بما سبق بل يتبع ذلك عقد باب « في المثليين كيف حالهما في الأصلية والزيادة ، واذا كان أحدهما زائداً فأيهما هو ؟ » قال : « ٠٠٠ فأما اذا كان معك أصلان ومعهما حرفان مثلان فعلى ضرب : منها أن يكون هناك تكرير على تساوي حال الحرفين ، فاذا كانا كذلك كانت الكلمة كلها أصولاً ، وذلك نحو : قلقل وصصع وقرقر . فالكلمة اذا لذلك رباعية ، وكذلك ان اتفق الأول والثالث واختلف الثاني والرابع ، وذلك نحو : فرفخ وقرقل وزهزق وجرجم ، وكذلك ان اتفق الثاني والرابع واختلف الأول والثالث نحو : كريب وقسطاس وهزنبزان وشعلع . فالمثلان أيضاً أصلان ، وكل ذلك أصل رباعي ٠٠٠ » (١٦) .

وقريب مما سبق ما ذكره في موضع آخر بعد أن أورد بيت تأبط شراً السابق قال : « ٠٠٠ وحذاذ وان لم تكن من لفظ أحد فأنها قريبة منه ، ولا تجد هذين اللفظين الا بمعنى واحد ، وذلك نحو : ململت ومللت ، ورقرت ورققت . ألا ترى أن اتفاق معنييهما قد حمل البغداديين على أن قالوا : ان الأصل في حثشت : حثثت ، وفي رقرقت : رقرقت (١٧) » .

ظهر مما تقدم أن البصريين لم يفرقوا بين الرباعي المجرد وبين نظيره المضاعف ، اذ كلاهما بناء مستقل ، وهو خلاف مقالة الكوفيين الذين فرقوا بينهما ، وارتأوا أن المضاعف - الذي يبقى بعد سقوط ثالثه محتفظاً بالمعنى الذي كان له قبل سقوطه ، أو مناسباً لمعناه متناسبة قريبة - هو مكرر الفاء زائدها نحو : زلزل مشتق من زل . وصرصر من صر ، ودمدم من دم ، أما ما لم يحتفظ بالمعنى ولا بمقاربه فلا يقولون بزيادة الفاء المكررة فيه .

أما الصرفيون فلم يرتضوا مقالة الكوفيين تلك ، ودفعوا أن يكون في المضاعف ما هو مكرر الفاء زائدها لأنه « لا ينفصل بين الحرف وما كرر منه بحرف أصلي » (١٨) .

والذي يبدو أن ردّ الكوفيين اشتقاق بعض المضاعف الى المضعف الثلاثي مما لم يمنعه الخليل ، وان كان يرى أن كلا منهما في صورته الأخيرة بناء مستقل بل يذهب الى أبعد من ذلك ، فيرى أن أصلهما معاً هو الثنائي الخفيف قال : « والعرب تشتق في كثير من كلامها أبنية للمضاعف من بناء الثنائي المثقل بحرفي التضعيف ومن الثلاثي المعتل ... » (١٩) .

□ الرباعي المضاعف والثلاثي المضعف في الاحصائيات الحديثة :

استبان مما تقدم أن كثيراً من أصحاب المعاجم العربية أدرج الرباعي المضاعف ضمن المضعف الثلاثي ، ولم يفرد بمواد مستقلة الا عندما لا يكون له ثلاثي مضعف مستعمل (٢٠) ، وجل ما ورد من المضاعف هو من نوع المدرج تحت الثلاثي المضعف ، وما تبقى هو المفرد الذي لم يستعمل له ثلاثي مضعف ، وعدده قليل . لقد انتهى مبلغ الجذور الرباعية في دراستي المشار اليها الى (٣٧٣٩) جذراً ، وهذا يعدل نسبة (٣٢٩٥ ٪) من مجموع الجذور بأنواعها والبالغة (١١٣٤٧) جذراً . وتستاهل مثل هذه النسبة العالية أن تكون الجذور الرباعية موضع دراسة لغوية تحليلية تكشف لنا عما تشتمل عليه من ظواهر لغوية لا نجد نظيراً لها في الجذور الأخرى من نحو : استناع دخول الياء والواو في بناء الرباعي المجرد غير المضاعف (٢١) ، وشذوذ وقوع الهمزة فيه أولاً (٢٢) ، وفشوّ ظاهرة المضاعف فيه ، فقد وصل مبلغ ما ورد منها في هذه الدراسة (٤١٦) جذراً متماثل الحرفين ، أي نسبة (١٢ر١١ ٪) بالنظر الى جملة ما ورد في الرباعي . أمّا الثلاثي المضعف فقد انتهت جملته الى (٥٢٠) جذراً ، أي نسبة (٧ر٢٢ ٪) من مجموع الثلاثي ، وينتج عن طرح المضاعف من المضعف عدد الجذور الثلاثية المضعفة التي لا مضاعف لها والبالغة (١٠٤) جذور (٢٣) .

والحق أن التزام المعاجم بما أخذته على نفسها من نهج في ايراد المضعف والمضاعف لم يكن دقيقاً ، فقد تطرق اليه بعض الخل (٢٤) ، لذا كان على الدراسات الاحصائية اجتناب هذه الملاحظات المنهجية في معجمات المتقدمين ولا يكون هذا الا بتناول مواد المعجم بتمامها ، لأن الاقتصار على العناوين المثبتة في الهوامش يفوت جميع الرباعي المضاعف الذي أدرج في المضعف الثلاثي ، وهذا بعينه ما وقع في الدراسات الاحصائية التي قام بها الدكتور علي حلمي موسى لجذور معجمي « الصحاح » ١٩٧١ « لسان العرب » ١٩٧٣ . فقد اكتفى باستلال ما أثبت من مواد في هامش المعجمين كليهما دونما اعتماد ما تحت العنوان من شرح فاعتمدّها صحيحة على ما تضمنته من ملاحظات لغوية ومنهجية ، قصد لبعضها أصحابها أم لم يقصدوا (٢٥) . وهذا ما جعل تعداد الرباعي المضاعف عنده في « الصحاح » لا يجاوز (٣٣) جذراً (٢٦) وهو في « لسان العرب » لا يجاوز (٦٠) جذراً (٢٧) . وهذان الرقمان يمثلان حقيقة المضاعف المفرد المستقل ، الذي لم يستعمل له مضعف ثلاثي ، وكنت أودّ أن يكون في الوسع احصاء جميع ماسقط من المضاعف في احصاء الدكتور موسى لجذور معجم « الصحاح » ولكنه متعذر ، فالمعجم لم يكن مما اعتمدته في دراستي من معاجم ، ويكفي

دلالة على صحة ما سبق أن ما سقط من مضاعف حرف الباء وحده بسبب ما ذكرت بلغ (١١) جذراً (٢٨) . وقد اعتذر الدكتور موسى عما يظن أنه رباعي مضاعف غير وارد في المعجم بقوله : « وقد يتبادر الى الذهن أن هناك عدداً آخر من تلك الجذور غير وارد بالمعجم ، مثل : بلبل ، تلتل ، جمجم ، حمحم . ولكن الواقع أن هذه الكلمات ومثيلاتها كلمات رباعية مكونة من مقطعين متماثلين وليست جذوراً ، فهي مشتقة من جذور ثلاثية هي : بلل ، تلل ، جمجم ، حمم » (٢٩) .

إن نهج الدكتور موسى في استتال المواد اللغوية من المعجم هو الذي حملته على القول بأن (بلبل وتلتل وجمجم وحمحم) ليست جذوراً رباعية لاندراجها تحت المواد الثلاثية وكان قد رأى أن هذه الكلمات ومثيلاتها كلمات رباعية ذات مقطعين متماثلين ، وقد فاتته أنه قرر قبلها بثلاث صفحات : « . . . كما أن الجذور الرباعية هي الوحيدة التي يمكن أن تحتوي على جذور مكونة من مقطعين متماثلين تماماً مثل : جمجم » (٣٠) . فأي فرق بين تلك الأفعال الأربعة التي أوردتها سابقاً وبين هذا الفعل ؟ .

ينضاف الى ما سلف أن الفارق بين مبلغ الرباعي المضاعف في دراستي - وهو (٤١٦) جذراً - وبين مبلغه في الدكتور موسى لجذور معجم « لسان العرب » - وهو (٦٠) جذراً - كان فارقاً كبيراً ، وصل الى (٣٥٦) جذراً ، ومما يؤكد صحة منتهاه في هذه الدراسة أن جملة المضاعف في احصائه نفسه لجذور معجم « تاج العروس » بلغ (٤٢٠) ولا يعقل أن يقتصر « لسان العرب » على ٦٠ جذراً منها ، وهو ما هو منزلة وحجماً في المكتبة العربية ، وهذا يؤكد صواب الاجتهاد بأنه اعتدّ في احصائه « تاج العروس » بالمضاعف المندرج تحت الثلاثي اضافة الى الرباعي المضاعف المستقل (الذي ليس له ثلاثي مستعمل) وهو بهذا يخالف نهجه في احصائه لجذور معجمي « الصحاح » و « لسان العرب » ويقع في خلل منهجي يجعل من المسير الاعتذار له ، ولا يخفى أن الأخطاء المنهجية في أية دراسة احصائية يجعلها تستغرق جميع نتائج الدراسة (٣١) ، مما قد يحمل على زعزعة ثقة الباحثين بدقة نتائج هذين المعجمين (٣٢) .

ورأيت من تمام الفائدة أن أضمن هذا البحث جدولا أعرض فيه مبلغ كل من الثلاثي المضعّف والرباعي والنسبة المئوية لكل منهما في دراسات د. موسى للمعاجم الثلاثة وفي معاجم هذه الدراسة . وسيظهر الجدول الآتي للقارئ حجم الخطأ المنهجي الذي جعل نسبة المضاعف في « الصحاح » أقل من واحد بالمئة وفي « لسان العرب » قرابة عشرة بالمئة (٣٣) ، بينما ارتفعت النسبة المئوية في « تاج العروس » الى عشرة بالمئة ، وفي معاجم هذه الدراسة الى أحد عشر بالمئة وكلاهما نسبة مقبولة تمثل واقع هذه الظاهرة المعجمية الهامة .

وبهذا يكون الرباعي المضاعف ظاهرة لغوية فريدة جديدة بالدراسة والبحث بغية الوقوف على أحكام نسجه التي يخالف في بعضها نظيره الرباعي المجرد ، وبغية الكشف عن دلالات أمثله ومعانيها ، وبيان ماهية الصلة بينه وبين الثلاثي المضعّف التي ردّ الكوفيون اشتقاق بعضه اليها ، وبينه وبين الثنائي الخفيف التي لم يمنعها الخليل ، وكل ذلك سلف في مواضعه .

المعاجم		الجذور		الجذور الثلاثية المصنفة		الجذور الرباعية المصنفة		الجذور الرباعية	
				عددها	النسبة المئوية (١)	عددها	النسبة المئوية (٢)	عددها	النسبة المئوية (٣)
الكتبة علي علمي مؤسس إحصائيات	الصالح	٤٢٢	٨,٧٦٪	٣٣	٠,٤٣٪	٧٦٦	١٣,٥٨٪		
	لأن العرب	٤٨٦	٧,٤٣٪	٦٠	٢,٤٤٪	٤٥٨	٢٦,٥٠٪		
	تاج العروس	٥٣٧	٧,٠٦٪	٤٢٠	١٠,٢٩٪	٤٠٨١	٣٤,٠٧٪		
الدراسة	الجمهورية الهندية المعمورة سنة العرب القارة المحيط	٥٢٠	٧,٢٢٪	٤١٦	١١,١٢٪	٣٧٣٩	٢٢,٩٥٪		

جدول مقارنة لنتائج إحصائيات المصنف والمصنف والرابعي

$$\begin{aligned}
 (١) \text{ النسبة المئوية} &= \frac{\text{عدد الجذور الثلاثية المصنفة}}{\text{عدد الجذور الثلاثية}} \times ١٠٠ \\
 (٢) \text{ النسبة المئوية} &= \frac{\text{عدد الجذور الرباعية المصنفة}}{\text{عدد الجذور الرباعية}} \times ١٠٠ \\
 (٣) \text{ النسبة المئوية} &= \frac{\text{عدد الجذور الرباعية}}{\text{مجموع الجذور بأنواعها}} \times ١٠٠
 \end{aligned}$$

□ الحواشي والتعليقات :

١ - نهضت بدراسة احصائية لدوران الحروف في الجذور العربية ، اعتمدت فيها على ما ورد من جذور عربية في معاجم خمسة اصول ، هي : « جمهرة اللغة ، وتهذيب اللغة ، والمعجم ، ولسان العرب ، والقاموس المحيط » وثلت بهذه الدراسة درجة التبريز (الماجستير) من قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة دمشق سنة ١٩٨٤ باشراف الأستاذ الدكتور شاكِر الفعام . وتحسن الاشارة الى أن الدكتور علي حلمي موسى سبقني الى نشر ثلاث دراسات احصائية للجذور في المعاجم : « الصحاح » ١٩٧١ ، و « لسان العرب » ١٩٧٢ ، و « تاج العروس » ١٩٧٣ (بالاشتراك مع د. عبدالصبور شاهين) . وقد عرضت في دراستي الى ما شاب هذه الدراسات من أوهام وأخطاء - كما في الدراستين الأولى والثانية . وذلك لخلل منهجي في تناول المواد اللغوية ، وبخاصة فيما يتعلق بالرباعي المضاعف والثلاثي المضعف - او من ملاحظات وهنات كما في الدراسة الثالثة . وهناك عددا من الدراسات الاحصائية الأخرى ، بعضها تناول القرآن الكريم وبعضها تناول الكلام العادي من مجردة ومزيده قامت بهابعض المؤسسات العلمية أو الجامعية في العالم العربي وخارجه ، سبقت أعمال د. موسى ولكنها لم تنشر لأسباب عدة . أما الفضل الحقيقي في نشأة هذا العلم (الإحصاء اللغوي) فيعود الى المتقدمين من العلماء والقراء الذين عثوا بخدمة الكتاب العزيز فاحصوا حروفه وكلماته وآياته وسوره . (انظر الإحصاءات وما ورد فيها من روايات في كتاب « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » ٥٥٨/١ - ٥٦٦ وهناك مصنفات كاملة في هذا الموضوع ما زالت مخطوطة) ثم جاء من بعدهم أصحاب علم التعمية (المترجم) الذين أحصوا حروف الكلام في نصوص معينة توصلوا الى حل المترجم مثل الكندي (ت ٢٦٠ هـ) في « رسالة في استخراج المعنى » وابن دنيئر (ت ٦٢٧ هـ) في رسالته « مقاصد الفصول المترجمة عن حل الترجمة » وغيرهما . انظر قائمة بالمصادر المخطوطة بهذا العلم في كتابنا « علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب » ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

٢ - « العين » ٦٠/١ - ٦٤ .

٣ - « جمهرة اللغة » ١٣/١ و ١٢٤ .

٤ - « الكتاب » ٢٩٤/٤ (ط ٠ بولاق ٢٣٨/٢) .

٥ - « سر صناعة الاعراب » ١٩٧/١ .

٦ - مقدمة تحقيق مجمل اللغة ١٠٩/١ نقلا عن « مقاييس اللغة » ٤٤٠/٣ .

٧ - وهي مما أخذ عليه الشدياق في « الجاسوس على القاموس » ص ٢٩٣ قال : « وأما تخليطه في ايراد الرباعي المضاعف فامر يطول شرحه ويعول برحه ، فانه تارة يورده في الثلاثي على مذهب الكوفيين كما في (شلشل) وتارة يفرد له مادة على حديثها كما (سلسل) مع أن المسافة ما بين الكلمتين قريبة جدا » .

٨ - انظر كتاب « الفعل زمانه وأبنيته » د. ابراهيم السامرائي ، ص ١١٥ و ١٩٥ .

٩ - انظر كتاب « المنهج الصوتي للبنية العربية » د. عبدالصبور شاهين ، وكتاب « دراسة احصائية لجذور معجم تاج العروس » له بالاشتراك مع د. علي حلمي موسى ، ص ٦٦ - ٦٨ .

١٠ - « العين » ٦٢/١ - ٦٣ . ونقله عنه الأزهري في « تهذيب اللغة » ٤٦/١ .

١١ - « سر صناعة الاعراب » مخطوطة المكتبة الظاهرية ، الورقة ٤٣٤ .

١٢ - « العين » ٦١/١ - ٦٢ .

١٣ - « الكتاب » ٢٩٤/٤ - ٢٩٥ (ط ٠ بولاق ٢٣٨/٢) .

١٤ - « سر صناعة الاعراب » ١٩٧/١ - ١٩٨ ومقالة المبرد في « الكامل » ٦/١ - ٧ . وانظر « التطور اللغوي : مظاهره وعلمه وقوانينه » ص ٢٣ - ٢٤ أورد فيه مؤلفه طرفا من النص لد.و معالجته قانون المماثلة .

١٥ - « الخصائص » ٥٢/٢ - ٥٣ .

١٦ - « الخصائص » ٥٦/٢ - ٥٨ .

١٧ - « سر صناعة الاعراب » ٢٠٤/١ . وشبيهه بمقالة البغداديين هذه ما أورده ابن منظور في (سفسغ) قال : « وأصله سفسغه بثلاث غينات ، الا أنهم أبدلوا من الفين الوسطى سينا فرقا بين فعلل وفعل ، وانما أرادوا السين دون سائر الحروف لأن في العرف سينا ، وكذلك القول في جميع ما أشبهه من المضاعف ، لقلق وعثعت وكعكع » . وبنحوه ما ذكره في مادة (كعك) .

- ١٨- « شرح الشافية » ٣٦٧/٢ .
- ١٩- « العين » ٦٣/١ و « تهذيب اللغة » ٤٦/١ .
- ٢٠- انظر المضعف الثلاثي والمضاعف الرباعي في المعاجم : « الصحاح » و « التكملة » و « لسان العرب » و « القاموس » .
- ٢١- لم يشذ عن القاعدة سوى (١٤) جذرا ، اشتركت الواو في بناء خمسة منها واشتركت الياء في بناء التسعة المتبقية ، وجميع هذه المواد موضع خلاف بين أهل اللغة من حيث مسحتها أو أصالة حروفها . يخرج من الحكم السابق ما جاء من رباعي مضاعف دخل في بنائه واو أو ياء ، وهو قدرلا باس إليه ، مبلغه (٢٥) جذرا ، ويعدل هذا نسبة (٦٪) من مجموع الرباعي المضاعف . وتقصيل ذلك ان الواو اشتركت في بناء واحد وعشرين جذرا هي (وبوب ، وتوت ، وثوث ، جوجو ، وخوخ ، وذوذ ، ورور ، وزوز ، وسوس ، وشوش ، وصوص ، وطوط ، وعوع ، وعوع ، وقوق ، وكوك ، ولول ، ومومو ، وهوه ، وأوا) . واشتركت الياء في بناء أربعة جذور ، هي : (عيعي ، ليليل ، يهيه ، يايا) . وهذا يعضد ما سلف من نقول عن الغليل وابن جني تدل على ترخصهم في تسجيحه .
- ٢٢- الهمزة ضعيفة الدوران في الجذور الرباعية ، ولا يزيد مبلغ ترددها فيها على (١٠٨) مرات ، قرابة نصفها في الرباعي المضاعف ، فهي ترد ثانية ورابعة في (٢٥) جذرا ، ولا تقع أولا في الرباعي المجرد الا شدودا في سبع مواد لا تثبت على نظر . وقد نص سيبويه على زيادتها اذا وقعت أولا رابعة قضاعدا ، انظر « الكتاب » ٣٠٧/٤ (ط . بولاق ٢/٢٤٣) .
- ٢٣- انظر الجدول المقارن للنتائج المضعف والمضاعف والرباعي في هذه الدراسة ولدى د. موسى . ص ٢١ .
- ٢٤- من امثلة ذلك ما ورد في « الصحاح » مضعفا ثلاثيا ثم اقتصر في شرحه على المضاعف الرباعي المستعمل منه نحو : (هثث ، وحج) ونظير هذا في « لسان العرب » : « ذخج ، وذذ » . وأشار الى هذا الخطأ في « اللسان » مؤلفا « الدراسة الاحصائية لجذور معجم تاج العروس » ومثلا لهذا يابراد اننتي عشرة مادة ثلاثية . اقول : ومثل هذه الأخطاء اثرها مضاعف في الإحصاء اذ فيها زيادة مادة ثلاثية غير مستعملة ونقص مادة رباعية مستعملة ، ومعلوم أن أي خطأ بهذا الحجم في أية دراسة احصائية ينسحب على جميع النتائج ، انظر احصاءات معجم تاج العروس ص ٦٢ . وعجبت لبقوط مادة (تفتح) من « احصائيات جذور معجم لسان العرب » للدكتور موسى ص ٥٣ ، جدول رقم (١٠) مع أن ابن منظور افرد لها بمادة رباعية مستقلة .
- ٢٥- هناك جملة ملاحظات منهجية تخص « لسان العرب » على جلالاته واعجابه ، سأكتفي بابرادها مدبلا على كل منها بذكر بعض المواد ، تاركا الشرح والتفصيل فيها الى بحث آخر ، مشيرا الى أن أكثر ما تظهر به تلك الأخطاء معارضة ما في اللسان بما في الأصول التي نقل عنها . من ذلك المواد التي وردت مصحفة عن أصولها نحو : (زرا ، غمرط ، سلبج ، شعبد ، عزهم) . ومن ذلك أيضا المواد التي وردت في غيرا موضع نحو : (ازه ، مرفن ، أصطبة ، أنيج ، اسبد ، دمقس ، صطغم ، عطود) . ومنها المواد التي وقع فيها اختلاف بين العنوان والشرح فقد أثبت في الهامش كلا من (ران ، سهه ، جلد ، دغس ، طرطس ، داك ، جوا) وشرح - على التوالي - كلا من (ارن ، سته ، جلعمد ، دغمس . طرطبيس ، دكا ، جوا) . ومنها المواد التي ذكرت ضمن غيرها ولم تفرد وحدها . وكثير منها لغات في مواد أخرى ، مع أنه يفرد في كثير من الأحيان ما كان من هذا القبيل ، فقد اورد (دلغ) في (لغف) ، و (ليه) في (لوه) ، و (ليح) في (لوع) و (حثف) و (فثج) و (ثعث) جميعها في (حثف) ، وذكر (نحق) في (نعر) و (ضوض) في (ضوا) . ومنها المواد التي وردت في غير موضعها لاعتبار ما ، كأن ترد تنبيها على خطأ لاحدهم فيها ، أو تكرارا لابرادها مرة ثلاثية وأخرى رباعية ، أو غير ذلك ، وامثلة هذا كثيرة من نحو (دلنظي ، ارندي ، ينيث ، ستهم ، زرقم ، ضنيثم ، جيعم ، درحي ، شنظي ، تكا ، تقى ، تظا ، مرتب ٠٠٠) . وجميع هذه المواد وردت على صورتها هذه بعجزها وبجرها في احصائيات لسان العرب والصحاح . وأكبر من ذلك أنك تجد أدوات مركبة احتسبت في الجذور الثلاثية مثل (تلك ، تيا ، لقد) انظر الجدولين (٣٤ و ٥٤) من احصاء اللسان .
- ٢٦- « دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح » ص ٢٠ .
- ٢٧- « احصائيات جذور معجم لسان العرب » ص ٢١ .
- ٢٨- هي (ربرب ، زيزب ، سيبب ، صيبب ، ضيبب ، طبطب ، عيبب ، غيبب ، كيبب ، ليلب ، هيبب) .
- ٢٩- « دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح » ص ٣٠ .
- ٣٠- المرجع السابق ص ٢٧ .

٣١- يصدق هذا الكلام ما قرره الدكتور موسى في « دراسة احصائية لجذور معجم تاج العروس » ص ٥ قال : « ٠٠٠ بحيث ان أي خطأ في المادة التي يغذى بها الكمبيوتر يترتب عليه خطأ في كل ما يصدر من نتائج ، ومن هنا كان من الضروري تحري الصواب فيما يقدم لذاكرة الكمبيوتر من جزيئات ومعلومات ضمن البرنامج المعد للمشروع ، وتلك بديهة يعرفها اهل الاختصاص » .

٣٢- لم يتنبه على شيء من هذه الأخطاء الدكتور ابراهيم أنيس في تقديمه للجذور الثلاثية في معجم « الصحاح » ولا في مقالاته : « مسطرة اللغوي » التي صدر بها العدد ٢٩ من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص ٧ - ١٢ ، ومقالة : « النظام الالكتروني تحصي مفردات اللغة العربية » في مجلة اللسان العربي ، المجلد العاشر ، الجزء الاول ، ص ٢٠٧ - ٢١١ . وكذا لم يتنبه عليها الأستاذ عبد السلام هارون في تقديمه للجذور غير الثلاثية في « الصحاح » وفي تقديمه بعده للدراسات الاحصائية لجذور معجم « لسان العرب » .
وكذلك فقد غفلت عن هذه الأخطاء ليلى الحريري في مقالها « الكمبيوتر يتكلم العربية » وضمنته مقابلة مع الدكتور موسى ، انظر مجلة الدوحة ، العدد ٨٩ ، رجب ١٤٠٣ هـ / مايو ١٩٨٣ م ، ص ٨٦ - ٩٠ .
٣٣- سلف قريبا بيان الاسباب التي نتج عنها هذا الخطأ .
٣٤- انظر كتاب « الفعل زمانه وأبنيته » ص ١٩٥ - ١٩٩ فقد تتبع فيه المؤلف بعض معاني أمثله .

★ ★ ★

□ مراجع البحث ومصادره :

١ - المطبوعة :

- احصائيات جذور لسان العرب ، د. علي حلمي موسى ، جامعة الكويت ، دار السياسة ، ١٩٧٢ .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، محمد بن يعقوب الفروزيادي ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ .
- التطور اللغوي : مفاهيمه وعلمه وقوانينه ، د. رمضان عبد التواب ، القاهرة والرياض ، مكتبة الغانجي ودار الرفاعي ، ١٩٨١ م .
- الجاسوس على القاموس ، أحمد فارس الشدياق ، القسطنطينية ، مطبعة الجوائب ، ١٢٩٩ هـ .
- الخصائص ، عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، بيروت ، دار الهدى .
- دراسة احصائية لجذور معجم تاج العروس ، د. علي حلمي موسى ، والدكتور عبد الصبور شاهين ، جامعة الكويت ، دار السياسة ، ١٩٧٣ م .
- دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح ، د. علي حلمي موسى ، جامعة الكويت ، ١٩٧٣ .
- سر صناعة الاعراب ، عثمان بن جني ، تحقيق لجنة من الاساتذة ، الجزء الاول ، القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الاولى ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م .
- شرح شافية ابن العاجب ، محمد بن الحسن الاستراباذي ، تحقيق عدد من الاساتذة ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب ، دراسة وتحقيق د. مرياتي ومير علم والطيان ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- العين ، الخليل بن أحمد ، تحقيق عبد الله درويش ، الجزء الاول ، بغداد ، مطبعة العاني ١٩٦٧ .
- الكامل ، محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق د. زكي مبارك ، الطبعة الاولى ، ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م ، القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- الكتاب ، عمرو بن عثمان ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- مجلة الدوحة ، العدد ٨٩ ، مايو ١٩٨٣ ، ص ٨٦ - ٩٠ ، وزارة الاعلام ، قطر .

- مجلة اللسان العربي ، المجلد العاشر ، الجزء الأول ، ص ٢٠٧ - ٢١١ مكتب تنسيق التعريب . الرباط ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٣ م .
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، العدد ٢٩ ، ص ٧ - ١٢ .
- مجمل اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق هادي حسن حمودي ، معهد المخطوطات العربية الطبعة الاولى ، الكويت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- المعجم العربي : دراسة احصائية لدوران الحروف في الجدور العربية ، يعنى مير علم ، اطروحة تبرز (ماجستير) مطبوعة بالمرقنة ، اشراف د . شاكر الفحام ، جامعة دمشق ١٩٨٤ .
- المنهج الصوتي للبنية العربية ، د . عبد الصبور شاهين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ب - المخطوطة :
- رسالة في استخراج المعنى ، يعقوب بن اسحاق الكندي . نسخة ضمن مجموع قديم يشتمل على رسائل مختلفة للكندي .
- سر صناعة الاعراب ، عثمان بن جني ، نسخة في المكتبة الظاهرية ، رقمها (١٥٠) وهي منسوخة عن نسخة دار الكتب المصرية ذات الرقم (١٦ ش لفة) .
- مجموع في التعمية يشتمل على رسائل مختلفة في هذا العلم ، منها رسالة لابن دنيئر ، تحتفظ به مكتبة فاتح المودعة ضمن المكتبة السليمانية برقم (٥٣٥٩) . لدينا مصورة عنه مهداة من الأستاذ العلامة أحمد راتب النفاخ ، كان قد أرسلها اليه الدكتور الفاضل فؤاد سزكين .

